مقدمة العدد

بقلم: رئيس التحرير

اتسعت آفاق دراسات وبحوث علم النفس الإكلينيكي والإرشادي بسبب انشغالها الشديد بالكشف عن منظومة أسباب الظاهرة المرضية ومشكلة الانحرافات الفكرية والسلوكية والأخلاقية من ناحية، والكشف عن دور متغيرات السياق النفسي الاجتماعي والبيئي ومتغيرات الشخص محل الفحص من ناحية أخرى. هذا بالاضافة إلى الكشف عن الثراء العلمي الذى يمكنه التوصل إلى تفسيرات شديدة الدقة على الرغم من كونها لم تصل بعد إلى مرتبة الأسباب الكافية للتفسير. والهدف من كل ذلك أن العمل الإكلينيكي بما يضمه من فروع علمية إكلينيكية متباينة،ووفقا لعلاقته بعلوم بينية كثيرة من مثل فلسفة العلم النفسي الاجتماعي والطب النفسي والعصبي والأنثروبولوجيا النفسية والطبية والإنسانية، وعلوم الثقافة وعلوم النفس، أن يتوصل إلى حلول علمية لظاهرة نفسية مرضية شديدة التعقيد.

وبحوث هذا العدد تتسم بسمتين بارزتين، هما التصدي للأمراض والاضطرابات النفسية بمختلف أساليب التدخل التنموي والعلاجي والتأهيلي والوقائي والتدخل بهدف تعديل الأفكار والمعتقدات السلبية واللاعقلانية وتعديل السلوك الخاطئ، أما السمة الثانية فتتمثل فى اتصال علم النفس الإكلينيكي والعلاج النفسي الحديث والمعاصر بعلوم أخرى لا تخطر على البال من قبيل العلوم الزراعية بصفة عامة، وعلوم نباتات الزينة والأشجار الخشبية بصفة خاصة، وكذلك علوم الهندسة المعمارية والتخطيط بهدف تصميم الحدائق العلاجية Landscape Archiتics وتصميم المناظر الطبيعية.

وترتب على علاقة علم العلاج النفسي المعاصر بهذه العلوم البينية ظهور نوع جديد من العلاج النفسي الذى صدرت له أدلة علمية تشير إلى كفاءته وتأثيره ، يسمى العلاج النفسي بالبستنة، وأصبح له جمعيات علمية ومهنية متخصصة أنشأت له دراسات ودبلومات متخصصة لخلق جيل جديد من المعالجين النفسيين يسمون بالمعالجين النفسانيين البستانيين.تجمع هذه الجمعيات تخصصات متباينة تعمل فيما بينها بنوع من التكامل Integrationوترفض العمل تماما بالتنافس أو الصراع أو الغيرة والحقد العلمي الذى لا زال سائدا إلى حد ما فى الفريق الطبي النفسي، هذه التخصصات

هى علوم علم النفس الإكلينيكي والعلاج النفسي الحديث والزينة والأشجار الخشبية والبساتين (من كليات الزراعة) ، والعمارة والتخطيط وهندسة المدن والحدائق وهندسة المناظر الطبيعية (كليات الهندسة).

ولذلك جاء البحث الأول فى هذا العدد من المجلة نتيجة التعاون بين فريق بحثي يتكون من الإبنة الدكتورة سماح مصطفى السيد، والسيدة الدكتورة ميادة محمد نجيب الصبوة (كلية الزراعة والمركز القومي للبحوث)، وكاتب هذه السطور. وتم تقديم المادة المبدئية له فى شكل محاضرة علمية موسعة ضمن محاضرات الموسم الثقافي لقسم نباتات الزينة والأشجار الخشبية بالمركز القومي للبحوث. ولأن هذه المحاضرة نالت إعجاب الحضور من جمهور المتخصصين فى العلوم الزراعية والعلوم الهندسية وعلوم النفس والطب النفسي والعصبي، فتم تطويره ليصبح بحثا نظريا فى شكل مراجعة علمية لهذا النمط الجديد من العلاج النفسي، فاكتشفتا - د.سماح و د.ميادة وكاتب هذه السطور - أن هذا النمط من العلاج له تاريخ طويل، وله جمعيات علمية ومهنية تنتشر بالولايات المتحدة الأمريكية وبدول جنوب شرق آسيا جميعا، وخاصة اليابان وكوريا الجنوبية وأندونيسيا والصين، كما تنتشر فى كندا واستراليا، وبالطبع نتمنى أن يمتد انتشاره إلى جمهورية مصر العربية، الأمر الذى حتم علينا توسيع البحث فى قواعد بيانات العلوم الهندسية بصفة عامة وبحوث الهندسة المعمارية وتخطيط المدن والحدائق، ومن حسن الحظ أننا وجدنا رسالتي ماجستير بقسم العمارة بكلية الهندسة بجامعة القاهرة تدور موضوعاتهما حول تخطيط المدن الجديدة والمناظر الطبيعية والحدائق الترفيهية والعلاجية (مروة الصبوة، ٢٠١٣، عبد الله أحمد عبد الله،٢٠١٣).

وبعد التوسع قدمناه فى شكل ندوة موسعة بمناسبة افتتاح المقر الجديد للجمعية المصرية للمعالجين النفسيين، مرة أخرى. ولكن هذه المرة كان جمهور الحضور من المتخصصين فقط فى علم النفس والطب النفسي بصفة عامة، والمعالجين النفسيين بصفة خاصة، وكان الحضور كثيفا. وبالطبع ألقيت الضوء على هذا البحث النظري بشدة ليكون درسا للمتخصصين فى مختلف العلوم مفاده، أن التعاون والتكامل بين العلوم المتباينة (الاجتماعية والطبيعية والهندسية والزراعية) يمكن أن يقدم إنتاجا يتصف بالجدة والأصالة، لأنه إنتاج ظهر بسبب تكاتف عدد من العلوم البينية. وهذا

الدرس ليس جديدا، لأنه ما كان للعلم المعرفي Cognitive Science ولا لعلم النفس المعرفي، ولا لعلم النفس المعرفي العصبي، ولا التطبيقي، إمكانية التبلور والظهور بشكل رسمي حتى عام ١٩٧٦، لولا التعاون بين علوم الفلسفة (فى المبحث المعرفي)، وهندسة الاتصالات (علوم الحاسب الآلي)، والذكاء الاصطناعي، والعلم العصبي، وعلوم طب العصبية، وعلم النفس (القدرات والوظائف العقلية والمعرفية).

ويقصد بالعلاج النفسي بالبستنة "مجموعة من المهارات والإجراءات التطبيقية النشطة، تعكسها مجموعة من الممارسات الفعلية الموجهة علميا، بحيث تتبدى فى عملية احترافية يقوم بها المرضى النفسيون بشكل إيجابي بعد تدريبهم، ليشاركون بكفاءة في جميع النشاطات البستانية، أو بشكل سلبي حيث يقتصر نشاطهم على مشاهدة الحدائق العلاجية عبر النوافذ المفتوحة أو السير فيها، والاستماع إلى أصوات الطيور، ورؤية جداول المياه ونوافيرها، والسير بين الأشجار والورود والرياحين، وشم الروائح العطرية العطرة، والاستمتاع بالمناخ والهواء الطلق. ويدربهم على ذلك معالج نفسي بستاني معتمد ومرخص، ويحكمه أخلاقيات التدخل المهني، ويتم فى جلسات معدة سلفا، بهدف تعليم هؤلاء المرضى خوض تجارب حسية وإدراكية ومتعددة الحواس، وبهدف إحداث أشكال جوهرية من التغيير الإيجابي الفعال، ويكون له مؤشرات للكفاءة لأو الفعالية، ومؤشرات للتأثير من وجهة نظر المرضى وأقاربهم وأصدقائهم" ،أو هو أشكال من التدخل المهني الاحترافي الذى يستخدم البساتين والحدائق البستانية العلاجية لتحسين الحالة النفسية والصحية للمرضى النفسيين، وإعادة تأهيل كثير من الفئات الخاصة والمرضى كبار السن جسميا أو نفسيا، وتقليل السلوكيات السلبية المرتبطة بأمراض المسنين، ومرضى الأمراض المزمنة والجراحات الكبرى الجسيمة .(Jarrottetal., 2002 ,403)

أما المعالجون البستانيون، Horti cultrue Psychotherapists ، فقد حددتهم الجمعية الأمريكية للعلاج النفسي بالبستنة (ج أ ع ن ب)American Horticulturak، بأنهم المهنيون المدربون الذين يشكلون فريقا يجمع بين الاختصاصي النفسي البستاني الإكلينيكي، الذى حصل على دبلوم عإلى بعد الشهادة الجامعية الأولى فى علم النفس، أو

ماجستير فى العلاج النفسي بالبستنة أو دكتوراه فى التخصص نفسه، والمهندس الزراعي المتخصص فى علم البساتين وتصميم الحدائق وتصميم المناظر الطبيعية العلاجية، والخضوع لتدريب تقدمه الجمعية الأمريكية لمهندسي المناظر الطبيعية(American Society of Land scape Architicts (ASLA لا يقل عن ٤٨٠ ساعة، والطبيب النفسي، والممرض النفسي، وهم يتولون تقديم العلاج النفسي بالبستنة للمرضى النفسيين، بحيث تتكامل أدوارهم ولا تتصارع، وتحقق الفائدة المرجوة من تقديم هذا النمط من العلاج الأساسي أحيانا، والمساعدة فى أحيان أخرى كثيرة، واستقر العمل المهني فى العلاج النفسي بالبستنة منذ عام ١٩٩٣، على الرغم من تاريخه الطويل إلى حد كبير ، شأنه شأن العلاج الجدلي السلوكي السياقى والمعيارى.وسيعرض البحث الأول فى هذا العدد كل تطوراته.

أما البحث الثاني فى هذا العدد، فكان هدفه التحقق من قدر فاعلية برنامج معرفي – سلوكي لتحسين الشعور بالأمن النفسي وتقدير الذات لدى المراهقين المدركين للرفض الوالدي. وقد أجرته السيدة الدكتورة داليا نبيل حافظ، وانتهت منه إلى أن البرنامج الإرشادي الذى استخدم برنامجا علاجيا معرفيا- سلوكيا لتحسين الشعور بالأمن ورفع معدلات تقدير الذات بعد انتهاء العلاج والمتابعة، كان ذا فاعلية وفقا للفروق داخل المجموعة التجريبية، ووفقا لما كشف عنه أداء المجموعة التجريبية على مقياس الأمن النفسي، ومقياس تقدير الذات.

وتناول البحث الثالث الفروق بين مدمنات الطعام والسويات من المراهقات فى أحداث الحياة الظاغطة وصعوبات تنظيم الانفعالات، وهو بحث أجرته الفاضلة السيدة الدكتورة هند ياسر المهدي، وهو يندرج تحت ما يسمى ببحوث السعى لتحديد محكات تشخيصية لأحد الاضطرابات السلوكية التى لا يوجد لها محكات تشخيصية بالأدلة التطبيقية المعتمدة مثل الدليل الإحصائي والتشخيصي والدليل الدولى لتصنيف الاضطرابات النفسية، وتسمى بحوث التوصل لتحديد محكات تشخيصية(Research Diagnostic Criteria (RDCوليس بحوث المحكات التشخيصية المسبقة(Diagnostic Criteria (DCوهى بحوث شديدة الصعوبة لأنها تعتمد فى تحديد المحكات التشخيصية لهذه الاضطرابات على تصميم اختبارات واستخبارات تشخيصية تتوفر لها معاملات الثبات والصدق والنقاط التشخيصية

الفاصلة ومعاملات الحساسية ومعاملات النوعية، حتى نوفر المحكات التى سيعتمد عليها بعد ذلك فى اختيار المرضى بهذه الاضطرابات، الأمر الذى يدل على ضرورة أن يتعلم الاختصاصي النفسي الإكلينيكي والمعالج النفسي إجراء البحوث العلمية العيادية بهدف تطوير التخصص فى العلاج النفسي وفى علم النفس الإكلينيكي.

أما البحث الرابع والأخير، فقد عرض لتقنين أحد اختبارات الفحص النفسي العصبي هو اختبار راى أو ستريث للأشكال المعقدة غير اللفظية، لتوفير معايير مصرية له، وقد أجرى على عينة طبقية مقصودة من طلاب الجامعات، ومن المشاركين صغار السن الذين بدأت أعمارهم من ٩ سنوات وحتى ٢٤ عاما. وقد أجراه الصديق الفاضل الدكتور مصطفى الديب، ولا يخفى على فطنة المتخصص فى العمل الإكلينيكي والقارئ الجاد، أهمية مثل هذه الاختبارات فى الفحص النفسي العصبي، فى حالات من قبيل صعوبات التعلم ومجمل حالات الفئات الخاصة بكافة أنواعها، ناهيك عن الأمراض العصبية.

وأرجو أن يفيد من هذا العدد جمهور المتخصصين فى علم النفس والصحة النفسية والطب النفسي والعصبي، ومهنيي العلاج النفسي، والقارئ المثقف، والله من وراء القصد.

د. محمد نجيب أحمد الصبوة

أستاذ علم النفس الإكلينيكي والعلاج النفسي

بجامعة القاهرة